عبدالمحسن سلامة

علاء ثا

مثقف عربى فى بلاد فارس

14 مايو 2021

حوار – محمد زين العابدي

المترجم الأهوازى د.عبد النبى القيم: الأهواز يعشقون الأدب والفن المصرى..وصور عبد الناصر معلقة بالمنازل

الأغاني المصرية حاضرة في أفراحنا وأصوات المقرئين المصريين تصدح في مآتمنا

نقرأ لطه حسين وعبدالصبور والحكيم والعقاد.. ومحفوظ الأكثر حظا في الترجمة

ربما لا يعرف الكثيرون أن هناك شعباً عربياً ـ قلباً،وقالبا ـ يعيش بداخل إيران ـ معقل الإمبراطورية الفارسية ـ وأنهم عاشقون لمصر ،والثقافة المصرية،والفن المصري؛مرتبط بجذوره،وهويته،وثقافته العربية ؛برغم كل المعوقات.و أن اللغة العربية،والثقافة العربية؛متغلغلة فى قلب إيران.وفى محاولة للتعرف على شعب العربى الذى يقيم فى إقليم (الأهواز) على الحدود العراقية|الإيرانية، ويتبع إيران ـ إدارياً ـ إلتقينا الباحث، والمترجم الأهوازى دكتور عبد النبى القيم؛ وهو صاحب جهود بارزة فى نقل الأدب العربى إلى الفارسية، وتأليف القواميس العربية|الفارسية، والتعريف بحضارة الشعب العربى الأهوازي. قد ولد عام 1956، بمدينة (عبادان) المتاخمة لشط العرب،وأنهى تعليمه بها، حتى الحصول على الدبلوم.ثم حصل على شهادة فى الإقتصاد، من جامعة (جندى سابور) بمدينة (الأهواز).ثم حصل على الماجستير فى إدارة الأعمال، من جامعة (علوم، وتحقيقات) بالأهواز، والدكتوراه فى إدارة الأزمات،من جامعة (أصفهان).أصدر المعجم العربى |الفارسى المعاصر،عام 2002، والمعجم الوسيط (عربي|فارسى).

وله أيضاً كتاب (تاريخ عرب الأهواز)، وغيرها من الكتب. وفى هذا الحوار، نتعرف من خلاله على تقاليد الشعب الأهوازى، ومدى عشقه لمصر التى زارها عندما كان طالبا فى الصف الأول الجامعى عام 1976 ، والحضارة العربية.

نريد أن نتعرف من خلالك على حياة الشعب العربي،بمنطقة(الأهواز)،ومدى تمسكه بالعادات العربية؟

العرب منتشرون فى جميع ربوع إيران،، وخاصة المناطق الجنوبية،والشرقية–وهناك قرى،ومدن عربية فى الجنوب،أى الساحل الشمالى للخليج، وفى محافظة(خراسان)فى أقصى الشمال الشرقى من إيران،وفى محافظة (فارس)،فى مركز إيران،جنوب محافظة اصفهان.هناك الكثير من القرى فى إيران،وحتى بالقرب من العاصمة طهران،مثلاً فى مدينة(ورامين)؛قرى عربية تحمل إسم العرب،كبادئة،أو لاحقة؛مثل(عرب آباد)، (عرب حسن)،(عربلو)،وما شابه ذلك.لكن حضور العرب في(الأهواز)له ثقله الخاص؛فتاريخهم يرجع إلى ماقبل الألفية الأولى قبل الميلاد،وينتشرون فى عشرين مدينة،ومئات القرى،جنوب غربى إيران،فى محافظة (خوزستان).منطقة(الأهواز)تقع على الجانب الشرقى من العراق،وهى محاذية لمحافظتي(العمارة)،و(البصرة) ،ومن الجنوب تقع على الساحل الشمالى الغربى من الخليج.هناك ترابط وثيق بين أهل الأهواز ،وأهل(البصرة) ،و(ميسان)بالعراق؛حيث لا تجد قبيلة في(الأهواز)ليس لها أبناء عمومة،بنفس الإسم فى محافظات العراق الجنوبية.أما بالنسبة لعادات،وتقاليد الأهوازيين؛فهى لا تختلف عن عادات العراقيين– خاصة المحافظات الجنوبية–وحتى لهجة الأهوازيين تشبه لهجة العراقيين؛حتى أن هناك تشابه فى المفردات،والمصطلحات. والحقيقة أن العادات،والتقاليد الأهوازية؛ هى عادات،وتقاليد عربية، وبعضها عادات عريقة عند القبائل العربية ،مثل الكرم، وحسن استقبال الضيف. وأهم الأعياد عند الأهوازيين،هى شهر رمضان المبارك، وعيد الفطر، وبعده عيد الأضحى.وبالرغم من أن أكبر، وأهم عيد للفرس؛هو عيد (النيروز)،والعطلة الرسمية لهذا العيد بالنسبة للدوائر الحكومية ؛هى خمسة أيام،بينما تمتد إلى أسبوعين،للمدارس،والجامعات،بينما عطلة عيد الفطر هى يوم واحد،تمت زيادتها فى عهد(أحمدى نجاد)إلى يومين.إلا أن عرب الأهواز لم يؤثر ذلك على احتفالهم بعيد الفطر،وعاماً بعد عام؛يزداد اهتمامهم،وتمسكهم به؛إذ أصبح ليس عيداً دينياً فحسب،بل عيداً وطنياً للأهوازيين،وأحد رموز هويتهم القومية.

ما هى أشهر الأكلات الشعبية للشعب الأهوازى؟

بما أن منطقة(الأهواز)مطلّة على الخليج، وتوجد فيها أنهار عديدة؛لهذا فإن أشهر الأكلات الشعبية فيها هى التى قوامها من السمك.وأشهر وألذ أكلة فى معظم مدنها،مثل(عبادان)،و(المحمرة)،و (القصبة)؛هى سمك (الصبور)البحري،ويتم حشوه بالتوابل،والإضافات الخاصة،وشيه على الحطب،أو فى التنور.أما فى مدننا الغربية،والمحاذية للهور،مثل(الحويزة)،و(الخفاجية) ؛فإن ألذ، وأشهى أكلة، هى سمك(البِنيِّ)؛والذى يؤكل مع خبز من دقيق الأرز،ويعرف بخبز(الطابق).وفى مدينة(الأهواز)يتناولون أيضاً سمك(البِنيِّ).وكلما نتجه شمالاً ،أو شرقاً،ونبتعد عن البحر،أو الهور؛تتراجع الأكلات البحرية،لصالح لحم الغنم.

هل هناك مدارس عربية يلتحق بها أبناؤكم لربطهم بالثقافة العربية؟

ليس هناك مدارس عربية فى الأهواز،لا فى عهد(الشاه)،ولا بعد الإطاحة به،والتعليم فى جميع مراحله من الإبتدائية،إلى الجامعية؛باللغة الفارسية.

أنت قمت بتأليف معجم موسوعي،عربي|فارسي،ونلت عنه عدة جوائز،وتكريمات.نريد أن نعرف عدد المفردات الفارسية،ذات الأصل العربي،أو المتطابقة مع اللغة العربية،وما هى أشهرها؟

عدد المفردات العربية،أو المفردات الفارسية ذات الأصل العربي،فى اللغة الفارسية؛يتراوح بين 40 إلى 50 فى المائة.واللغة العربية هى العمود الفقرى للغة الفارسية،ولا يمكن الاستغناء عنها.يكفى أن تعرف أن مفردات ،ومصطلحات علوم الفلك،والقانون،والفلسفة،والرياضيات فى اللغة الفارسية؛كلها عربية.بمعنى آخر يمكن القول إن لغة العلم عند الفرس،هى العربية.أما مفردات العربية،الموجودة فى الفارسية،ولها معادل فارسى ؛فهى تنتمى للمفردات الأدبية الطابع.وعندما ينوى المرء مراعاة الأدب،واحترام القارئ،وتحاشى العامية؛فإنه يستخدم المفردات العربية،بدلاً من المفردات الفارسية.وبالإضافة إلى ذلك؛هناك الكثير من العبارات؛تتكون من مفردات عربية بحته،وعلى سبيل المثال،وليس الحصر:«إستعمال دخانيات ممنوع»؛ أي»ممنوع التدخين» ،أو«شركت تضامنى»؛بمعنى «شركة تضامنية».وحتى فى القرن الرابع الهجري؛عندما أراد الشاعر الفارسى الأشهر(الفردوسى)،والمعروف بنزعته الشعوبية؛أن ينظم ديواناً يخلو من المفردات العربية؛لم يفلح،واضطر لاستخدام المفردات العربية؛حيث استعار نحو ألف مفردة عربية،فى منظومته الشعرية الشهيرة(الشاهنامه).

لكن مع تنامى المدّ القومى الفارسى،بالتزامن مع ظهور الحركة النازية فى ألمانيا،وزعمها بتفوق العرق الآري،ووصول(رضا خان)إلى سدة الحكم،فى عام 1921،ودعمه الكامل لهذه الحركة العنصرية؛والتى من سماتها معاداة العرب؛ظهرت نزعة عند الكثير من الكُتّاب،ومثقفى الفرس؛لتطهير اللغة الفارسية،من اللغة العربية،واستبدالها بمفردات(بهلوية)؛تعود إلى عهود ما قبل الإسلام،وأمر(رضا شاه)بإنشاء مجمع للغة الفارسية؛يأخذ على عاتقه هذه المهمة.وبما أن الدوافع كانت عنصرية بحتة.وبما أن التراث الأدبى الفارسى زاخر بالمفردات العربية،والمفردات الفارسية القديمة محدودة من حيث العدد،وقاصرة عن التعبير،وصعبة للغاية؛فقد عارض هذه الحركة كبار علماء الفرس،معارضة شديدة؛لما يمكن أن تؤدى إليه،من فصل الأجيال عن تراثها.والمفارقة اللطيفة؛أنه كان من أكبر المعارضين لهذه النزعة،بعض رجال الدولة البهلوية،ومن المقربين لرضا شاه.

ماذا يعرف الأهوازيون عن الأدب العربي؟ وكيف يتواصلون مع الثقافة العربية؟

الأهوازيون–حالهم حال كل العرب–يتذوقون الشعر .وللشعر مكانة مرموقة عندهم؛ولهذا السبب،هناك الكثير من آبائنا،وأجدادنا،يرددون أبياتاً من المعلقات السبع،يحفظونها عن ظهر قلب.وهناك الكثير من شعرائنا،الذين كتبوا أشعاراً،أو قصائد شعبية،مستوحاة من بعض أبيات المعلقات؛ونرى ذلك عند شعرائنا الكبار الراحلين ،مثل(طاهر إسحاق القيّم)،و(ملا فاضل السكراني)،و(ملا إبراهيم الديراوي)،كما نرى ذلك عند شعراء من الجيل التالي. يتوق(الأهوازيون)إلى الأدب العربى بشغف،ويعتبرونه عمقهم الحضاري.وبالرغم أن الدراسة فى جميع المراحل الدراسية؛بالفارسية.وبالرغم أن العربية،تدرس كلغة أجنبية–مثل الإنجليزية–لكنهم حرصوا على تعلم لغتهم الأم،والاهتمام بالأدب العربي.لذلك نرى كوكبة من الشعراء،ينشدون شعرهم بالفصحى،ومجموعة كبيرة من المترجمين؛يترجمون الأدب العربى إلى الفارسية.إن الأدباء العرب معروفون جداً،عند النخبة الأهوازية،ويقرأون كتاباتهم بشغف؛خاصة عميد الأدب العربي،د.طه حسين،وتوفيق الحكيم،والعقاد،وصلاح عبدالصبور ،ويوسف السباعي.بالنسبة لى وقبل أربعين عاماً. ترجمت مقالاً للناقد الكبير د.غالى شكرى؛عن كتاب «فلسفة الثورة»لجمال عبدالناصر ،ونشر فى إحدى المجلات الفارسية.ولمصر حصة الأسد فى الترجمة الأهوازية.كان نجيب محفوظ أكثر أدباء مصر نصيباً فى الترجمة الأهوازية،إلى الفارسية.وهناك أكثر من مترجم؛ترجموا أشعار أغانى أم كلثوم.وترجم كتاب» مذكرات الإتصالات السرية،بين العرب،وإسرائيل «لمحمد حسنين هيكل،و«كنت جاسوساً» لصالح مرسى؛عن حياة البطل(رأفت الهجان).وهناك شعراء،وشاعرات؛نظموا شعراً بالفصحى،وصدرت لهم كتب شعرية،بعضها فى القاهرة. ومنهم (عبد العزيز حمادي)،و(حسين طه عباسي)،و(سعود الحربي)فى مسابقة(شاعرالمليون).وعندما نعرف أن هؤلاء الشعراء،كلهم من الجيل الجديد،ودراستهم لم تكن بالعربية؛ ندرك مدى تمسك الأهوازيين بلغتهم،وهويتهم كما يعشقون أحمد شوقى ويحفظون أشعاره هو وحافظ إبراهيم.

قلت لى من قبل إنكم تربيتم،على سماع إذاعة(صوت العرب)،وتعلقتم من خلالها بالزعيم جمال عبدالناصر. كيف كنتم تتابعونها؟

إن الأهوازيين يتابعون أحداث العالم العربي،عن كثَب،وبشغف خاص،ويفرحون بأفراح إخوانهم العرب ،ويحزنون لأحزانهم.ولقضية فلسطين اهتمام خاص لديهم.وبتعبير آخر،القضية الفلسطينية خط أحمر عندهم. هناك بعض الشباب الأهوازي؛تركوا ديارهم،ودخلوا الأردن،والتحقوا بصفوف حركة(فتح).ومن هذا المنطلق؛ كان الزعيم(جمال عبدالناصر)محبوباً جداً عند الأهوازيين،ولم تصل شعبية أى زعيم عربى إلى شعبيته.إلى يومنا هذا،عندما أدخل بعض البيوت الأهوازية؛أرى صورة(ناصر)على الحيطان.وأطلق الكثير من الأهوازيين إسمه على أولادهم.وعندما توفى عام 1971؛ساد الحزن ربوع(الأهواز).ونظراً لمحبة الأهوازيين لعبد الناصر ،وشغفهم بمتابعة أخبار مصر؛كانوا يتابعون إذاعة(صوت العرب)،فى وقت لم يكن البث التليفزيونى متاحاً.

نعرف أن الأهوازيين يعشقون سماع أم كلثوم،وعبدالوهاب،وغيرهما من عمالقة الفن المصريين.ما هى أكثر الأغانى المصرية التى يحبونها؟

الموسيقى الأهوازية عربية الطابع تماماً،أو بالأحرى،هى نفس الموسيقى العراقية.بطبيعة الحال يميل ذوق الأهوازيين إلى الموسيقى العربية.وللمطربين المصريين مكانة خاصة عندهم.وتحتل سيدة الغناء العربي،أم كلثوم،موقع الصدارة.لا يوجد(أهوازي)،سواء من جيلي؛ممن عاصروا آخر سنوات حياة(كوكب الشرق)،أو من الأجيال التالية؛لا يعرف أم كلثوم،أو لا يتذوق آغانيها.أنا تربيت،وكبرت على سماع الأغانى المصرية؛

وبالدرجة الأولى أغانى كوكب الشرق،وعبدالحليم،وعبد الوهاب،وفريد الأطرش،ونجاة الصغيرة،وفايزة أحمد،وشادية،ووردة،وأغانيهم كانت تصدح فى المحلات التجارية،والأسواق،والمقاهي،وفى الأفراح،والمناسبات.فى مدينتى (عبادان)كان هناك شباباً من أصول فارسية؛لم يجيدوا العربية إطلاقاً،لكنهم بفضل سماعهم للأغانى المصرية ،كانوا يتذوقونها جداً،والكثير منهم يحفظون أغانى لأم كلثوم،وعبدالحليم،ويرددونها.

والأغنية المصرية موجودة فى جميع الأفراح،والمناسبات الأهوازية؛وخير دليل على ذلك،أنه منذ أكثر من نصف قرن؛تستهل الفرق الموسيقية حفلتها بعزف مقطوعة من أغانى أم كلثوم،مثل(ليلة الحب)،و(هذه ليلتي)،و(إنت عمري)،و(ألف ليلة وليلة).وحتى الشارة الموسيقية للبرنامج العربى لإذاعة(عبادان)؛كانت موسيقى أغنية «كامل الأوصاف» لكمال الطويل.أتذكر أنه عندما غنينا بصورة جماعية،أنا،والدكتور يوسف عبدالفتاح فرج،والأديب أحمد فضل شبلول،فى جزيرة(جيجو) بكوريا الجنوبية مقطعاً من أغنية «كامل الأوصاف»؛استغرب الأستاذ عصام رفعت،رئيس القسم الإقتصادى بجريدة الأهرام–آنذاك–وقال لي:»يا أستاذ (عبد النبي).هل أنت مصري؟،هل أنت(أهلاوي)،أم(زملكاوي)؟».ونحن لا نعرف الأغانى المصرية فقط،بل نعشق الدراما المصرية.ونشاهد الأفلام،والمسلسلات؛للفنانين الكبار،مثل اسماعيل ياسين،وفؤاد المهندس ،وعمر الشريف،وعزت العلايلى ،وفريد شوقي،ويحيى الفخراني،ويوسف شعبان،ومحمود عبدالعزيز ،وأحمد زكي،وغيرهم كثيرون،من القدامي،والجد.